

قصة بقلهم وليس خبي

العجاج

(1)

بعض الفلاحين يلتمسون النجاة خارج الجدران التي لم تعد تطاق .
وبينما هم يزيلون الاتربة العالقة على عيونهم ، اذ بقلوبهم ترتجف
دفعة واحدة . اخذوا ينظرون اليها غير مصدقين ، ثم تكن حلما .
كانت بقرة مكتنزة لحما وشحما تتبختر وسط الساحة .
الكل يعرف رزقه جيدا ، اذن لا بد ان تكون هبة تاهت وسط
العجاج واستقرت عندهم .

توقفت البقرة عن حركتها ، فتوقفت معها عيونهم ، عم الصمت
المكان بقيت حبات الرمل تتساقط ، تبادل الجميع النظرات الحائرة .
احس المختار ما يدور في اذهانهم ، تنحج ثم اشار لاحد اتبائه قائلا:
- يا عبود : سق البقرة لحظيرتي .
عقدت الدهشة الباب الحاضرين ، تسمرت اجسامهم ، لم يبق
منهم سوى النظرات التائهة .
وفجأة انفجر « سليمان » بوجه المختار قائلا :
- كيف يقودها لحظيرتك ، هل الدنيا « فلت » ؟؟
قطب المختار حاجبه وقال :
- ليتكلم فيرك يا سليمان ، انك لم تعد ابن القرية ، لقد افسدتك
المدينة يا بني !! .
- لكنها رغبة الجميع .
- اريد ان اسمعها من افواههم .
- لا مانع ، اسألهم .
قلب المختار نظره على الحاضرين وقال :

- على كل ساطرح موضوعها للتصويت ، وليتأكد اخواني فسي
القرية انني اقوم بذلك لا جبا بالبقرة ، بل لاعرف فقط موقعي بين
جماعتسي .

ثم اردف قائلا :
- وليعلم الجميع ان تلك البقرة لم يعد لي نفس بها حتى لو كانت
ناقة « النبي صالح » .
اشار المختار بيده لوالد سليمان وقال :
- اتوافق على بقاء البقرة في حظيرتي يا ابا سليمان ؟؟
هز ابو سليمان رأسه بالاجاب ، اشار المختار لثان ، وثالث ،
وعاشر ، وكانه ساحر ماهر ، والكل يهزون رؤوسهم .
نظر الى سليمان وقال مبتسما .
- الجميع موافقون .
- لكنهم لم يتكلموا !!

عندما يختلط الاحمر مع الابيض ، والاسودمع الاصفر دون ضوابط
مميئة ، تكون اللوحة مقرفة . ولكن عندما تحمل هذه الالوان بيسن
طياتها حبات الرمل فان الامر يبدو شيئا آخر .
تخفي بين ثنايا تلك اللوحة كل مظاهر الحياة ، ولا يعود التفكير
محصورا سوى بتلك الحفر التي تسمى قبورا .
نظرت « زهرة » لزوجها وقالت ساخطة :

- يا ابا محمد ، ماذا فعلنا تحت وجه الله كي يرمينا بهذه المصيبة؟
صمت ابو محمد قليلا ثم قال بحروف متراخية :
- ان المؤمن ممتحن دائما .
فردت زهرة وكأنها غير مقتنمة بكلامه :
- الا يوجد اغنياء مؤمنون ؟؟
- بلى .
- اذن لماذا لا يمتحنهم ؟؟

- حرام يا ام محمد ، المال ، مال الله وحده ، وكلنا عبيده .
- لا . ان ربك يكره الفقراء امثالنا .
- اسكتي . يكفيننا ما يعيل بنا من مصائب .
- ولكن ...
- انا رأيت يا زهرة ان تغلقي فمك لان فتح الشفاه في مثل هذه
الحالات يقود للموت ..

ساد الظلام في عز الظهيرة ، وانقلبت كل الاشياء الى نماذج لا
تشبه اشكالها الاصلية . اصبح استنشاق الهواء يحتاج لواسطة ..
تمبأ الجو بروائح غريبة ، صرخت « زهرة »
يا ابا محمد انها علامات قيام الساعة
- آه .. ليت الساعة تقوم مرة واحدة ، اذن لاسترحنا .
تحرك كل شيء سوى الانسان ، رحمة الله كانت سريعة هذه
المرة ، الالوان انسحبت ببطء ، بدت الشمس صفراء باهتة ، ركسد
الهواء ، اخذ الرمل يتساقط ، ابتسم ابو محمد وقال لزهرة :
- رأيت ان الله يحب الفقراء
بقيت زهرة صامتة ، ازدادت ابتسامه ابي محمد انفراجا وتابع:
- انك مقتنعة ، السكوت علامة الرضى ...

(2)

اصبح ابو محمد وزوجه وسط ساحة القرية ، حيث سبقهم اليها

- يا بني ، السكوت علامة الرضى

(٢)

سار المختار والبقرة بانجاه ، وسار سليمان واهل القرية بانجاه آخر . كان سليمان ممتنع اللون ، شارد الذهن . أحس والده بغضبه فقال :

- لا تقضب يا سليمان ، لا شيء يستحق الانزعاج .

- والله يا والدي امرم محير ، الكل يريد البقرة ، ومع ذلك تركتموها للمختار لقمة سائفة .

ابتسم والد سليمان وقال :

- يا بني حالتان في الحياة ، لا ثالث لهما ، اما ان تقبل او ترفض

- ولكن لماذا لم ترفضوا ؟؟

- لا جدوى ، لان المختار سيقودها تحظيرته ، قبلنا او رفضنا .

مرت الايام وخيال البقرة يتراقص بأذهان اهل القرية ، وفي أمسية كانوا بها في دار المختار ، انفلتت اترغبة المحبوسة من قم سليمان الذي قال مخاطبا المختار :

- يا مختار أعتقد ان البقرة بحاجة (للتشبية) . (١)

لمعت عيون المختار لهذه الفكرة وقال :

- بالضبط يا سليمان . اني اهنتك على حسن فهمك ، التفت للحاضرين وتابع قائلاً :

- بالواقع يا اخوان ان للدراسة حقا ...

عادت البقرة من جديد لالباب الحاضرين ونمى كل واحد منهم ان يكون ثوره صاحب الحظ السعيد ، كي يكون له سهم في الوليد . خرج الامر من دائرة الذاكرة ، وعرض اكثرهم لثيرانهم .. عاد المجاج لكن دون رمال . انقلب المكان الى معرض لعرض الثيران : ولولا لطف الله الذي جعل بينهم مختاراً ، لادى الامر بهم لمشادة حادة .

نهض المختار وقال بحدة :

- يا اخوان ، الموضوع لا يحتاج لهذه المشادة ، توري سيقوم

بالعملية حسماً للخلاف .

فصرخ الجميع بصوت واحد :

- لا ...

احمر وجه المختار ، وجحظت عيناه وقال :

- ما دمتم غير متفقين ، سنترك البقرة على حالها ، ما رأيكم ؟؟

صمت الجميع ، هز المختار رأسه وقال :

- كلكم موافقون ، السكوت علامة الرضى ..

(٤)

خرج الفلاحون من دار المختار . كان ليل القرية أسود ، بينما

القمر يجهد نفسه ليمد لهم شعاعاً من الضوء ، دون جدوى .

التفت سليمان للفلاحين وقال بحرارة :

- انكم قساة ، لقد حكمتكم على البقرة بتلك النهاية بسبب انانيتكم

فرد احدثهم يقول :

- وهل هناك حل غير هذا ؟؟

- نعم .

- ما هو ؟؟

- نترك ثور المختار (يشبها)

- اتقول المختار ؟ اني غير مصدق .. لقد كنت قبل قليل من اكبر

معارضيه ؟

- ولا ازال .

- اذن كيف تفسر ذلك ؟

- يا عم : اذا تصادمت مصالحنا على فعل الخير ، فمن المييب ان نختار الشر حلاً ..

ثم تابع سليمان قائلاً :

- أنا اقترح ان نعود لدار المختار ، ونضع حلاً لها .

فوجيء المختار بدخول القوم ثانياً . رحب بهم وقد امتزجت الافكار بذهنه قال :

- عسى قومكم خيراً .

فرد سليمان :

- يامختار ان بقاء البقرة بهذه الحالة امر محزن .

ابتسم المختار بعد ان زالت التساؤلات من رأسه وقال :

- والله انا مستعد لتنفيذ أي امر جماعي تتفقون عليه .

فبرز صوت زهرة :

- نذبجها يا مختار .

- لا مانع عندي .

- ولكن لمن يكون لحمها ؟؟

- أسألي نفسك .

صمتت زهرة بخجل بعد ان أدركت ان لحمها لا يحل أزمة القرية ..

بدد المختار خجلها قائلاً :

- ما رأيكم لو ذبحناها لأول زائر يحل علينا ؟؟

فصرخ سليمان :

- وماذا تقبض القرية من ذلك ؟؟

رد المختار غاضباً .

- لقد حيرتموني ، سنترك البقرة على حالها ، ما رأيكم ؟

بقي دخان اللغائف السوداء يتصاعد وحده بعد أن هدأت الاصوات .

تابع المختار قائلاً :

- كلكم موافقون ، السكوت علامة الرضى ..

(٥)

أخذت عظام البقرة تبرز من خلال جلدتها بعد ان انعكست عليها

دورة الايام . أصبحت ارجلها غير قادرة على حمل جسمها الهزيل

لذا قعدت كسيحة تجتر حظها العائر الذي قادها لهؤلاء القوم .

أخذت تموت ببطء وجاراتها ينظرن اليها وقد احتضنت كل واحدة

منهن وليدها . « ان من اكبر محاسن الله على الحيوانات انه عطل

فيها حاسة النطق لذا تموت دون شكوى .. »

انتظار موتها كان متوقفاً ، اذا عندما حمل « عبود » النبا اليهم

لم يهتز احد منهم .

قال عبود مخاطباً المختار :

- لقد ماتت البقرة يا مختار .

هز المختار رأسه وقال :

- الدائم هو الله وحده .

ثم تابع :

- يا عبود لا تنسى سلخ جلدتها قبل دفنها .

لكنه عاد وقال بحركة مصطنعة :

- لا .. قف لناخذ رأي الجماعة .

صمتهم هذه المرة لم يعد يجدي . انسحب اغلب الحاضرين من

دار المختار .

تابع المختار قائلاً « لعبود »

- اذهب يا عبود ، الكل موافقون .

الانسحاب علامة الرضى .